



على قمة قاسيون الأبي تنتصب أشجار السنديان شامخة، و على سفحه يتتكأ الشقى المتعب الطريد، و تتوجه الأنظار نحوه في لهفة المترقب، وتساقم الآمنيات بانتظار النصر.

و على ذات الجبل الأشم تنتصب راجمات الصواريخ التي زرعتها حكومة الأسد موجهة – لا إلى إسرائيل – بل إلى قلب العاصمة دمشق.

إنها السلاح الأخير الذي سيطلقه الأسد حين اقترابه من الفناء، هدم دمشق أقدم عاصمة في التاريخ سيكون آخر عهد الأسد في سوريا، فقد أقسم – و هو الكاذب – أن يدمر سوريا عن بكرة أبيها مالم يكن حاكماً فيها و ليس هناك شعار تبناه الأسد أكثر صدقًا من شعار – الأسد أو نحرق البلد.

وقد استطاع بمكره وخداعه أن يقنع أبناء طائفته بالاتفاق حوله فكان كمن يقودهم نحو هلاكهم و هم لا يشعرون. ولطالما باعنا سخيف القول بالحديث عن وطنية زائفة، فهل تعريف الوطنية يعني أن ندك حصون الوطن و نهدم منازله ونقوض بنائه التحتية ونجره إلى خراب لا ينتهي ونشرد سكانه ونقتل شرفاء؟

لقد بلغ انطماماً بصيرة هذا الأعمى مبلغًا فاق حدود التصور حتى صدق البعض رواية العصابات المسلحة لأن أحدًا لا يمكن أن يعقل أو يفهم أو يصدق أن رئيساً حاكماً يمكن أن يدمر أمة وشعباً ووطناً ويقودهم إلى الهلاك. لقد ثبت غباء الأسد المطبق وقادته غطرسته وعنجهيته إلى هلاكه من حيث لا يفقه.

فقد كان بإمكانه – لو أنه أُوتى الحكمة والعقل وال بصيرة أن يستوعب أحداث درعا التي أشعلت فتيل الحرب، وكان في وسعه أن يلجم برakan الثورة ويقيده بعقاله لو أنه أبدى تجاوباً واستعداداً لتلبية مطالب الشعب المحققة في محاربة الفساد والمفسدين، و إحقاق الحق و العدل والمساواة وفتح الطريق للانتعاش الاقتصادي والاستثمار الحر ووقف الاحتكارات المالية الضخمة التي كانت تجري على الملا، وأعطى كل ذي حق حق، لو أنه فعل، لو أنه أنفق في الإصلاحات ورفع مستوى

الفرد المعيشي ربع ما أنفقه في حربه على شعبه، لكن هذا الشعب الكريم حمله على الأكتاف، وافتداه بالأرواح، ولدانت له سورية بقوة الحب نصف قرن من الزمن كما دانت لوالده قبله بقوة السلاح.

لكن انطمام البصيرة قاده إلى حتفه وإلى إنهاء ذل حكمه وحكم والده طيلة نصف قرن من الزمن.

و لعل أهم ما في ثورتنا المباركة أنها منحتنا الفرصة أن نعيد كتابة التاريخ بشكله الصحيح وحكمت على آل الأسد أن يخرجوا من التاريخ إلى مزبلته بدل أن يخلدوا رؤساء حاكمين أعزه.

والله بالغ حكمته إذ لا يصح إلا الصحيح وإذا أراد الله نشر فضائح المفسدين جند جنده لذلك ولو بعد حين لأنه سبحانه في علاه يمهل ولا يهمل.

و لعل أكثر الفئات خسارة في معركة الكرامة هذه هم أبناء الطوائف الموالية للأسد، فهم ينجررون انجرار القطيع خلف الراعي الأعمى، لو أبصروا جيداً لأدركوا أن المعركة خاسرة وأن النصر للثوار قريب، فشتان بين مدافع عن حق ومدافع عن باطل، معركة الحق متصرة وإن طالت، وجولة الباطل ساعة و جولة الحق إلى قيام الساعة.

وقد لاحت تباشير النصر، حتى أصبحنا نعجب على ماذا يعول هؤلاء في دعمهم للباطل؟

وما انتصار ثورات الربيع العربي وانتصار غزة على أعلى قوة استعمارية في المنطقة إلا دليل على أن النصر حليف المؤمنين الصادقين المخلصين أصحاب الحق المبين، وما انكسار اسرائيل إلا إشارة على قرب انكسار رببها وحليفها المدلل، وقد أيقن العالم - رغم انكاره واستنكاره - أنه لا شيء سيرد المجاهدين إلى قواعدهم ولا شيء سيوقف هذا المدّ الثوري مالم يحقق هدفه المنشود وكلما ازداد الدمار وقتل الوحشي والعنف والإرهاب من جيش الأسد، ازداد الشعب إصراراً على المضي في ثورته حتى النصر أو الشهادة فمن يقف في وجه مجاهد يرى الجنة في فوهه بندقية؟ لو فطن الموالون للأسد إلى هذه الحقائق لدافعوا عن وجودهم ومصالحهم وهي في ارتباطهم بالأرض، بالوطن، بالبيت، بالمدرسة، بالجامعة، وبكلّ شارع خطوا عليه ذكرياتهم، لا بارتباطهم برمز ساقط يستغلهم ويهدّر دماء أبنائهم ويضعهم في مواجهة مع أبناء أمتهم مشعلاً فتيل حرب طائفية لن تبق ولن تذر.

لكن ران على قلوبهم فأصبحوا كالأنعام بل هم أضل.

الأسد لن يرحل بملئ إرادته، أصبح هذا مفهوماً جلياً، أكدّه ديفيد كاميرون في تصريحاته مطلع الشهر الحالي، وأي إشاعة تقول غير ذلك هي محض افتراء، لن يرحل الأسد إلا بضررية عسكرية قاضية تسلّم مفاصل حكمه وتطيح به راغماً، ما يزال العالم يمنه الفرصة تلو الفرصة لإجهاض الثورة وقد أيقنوا أنه لن يفلح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فمن قدم النفس والنفيس وصبر طوال عامين من الزمن ووقف أمام الدبابات ببسالة المجاهدين، لن يعجزه تحقيق هدفه ولن يحول بيته وبين ذلك سوى الموت، فكان خيار العالم أن يمدّ بعمر الثورة حتى يدمروا ما استطاعوا من سوريا و يضعفوا اقتصادها ويضعون ألف عثرة في طريق تقدمها وعمرانها ونهضتها، لهذا ما يزال العالم يماطل بدعم الثوار عسكرياً، ويرفض إقامة حظر جوي من شأنه أن يحمي ما تبقى من بنيان وحضارة و يحقن المزيد من الدماء ويتبع الفرصة للجيش الحرّ أن يتحرك بفاعلية أكثر باتجاه النصر. العالم لم يرفع الوصاية عن الأسد بعد، ولكن الله رفع وصايتها وأنزل حكمه "ولينصرن الله من ينصره" ولو بعد حين.

سمّاها أوباما الربيع العربي و نسمّيه نحن الغضب الشعبي و الحكم الرباني، إنه بركان الحق و زلزال العدالة قادم و لن يقف في وجهه طغاة العالم مجتمعين.